الأخلاق والعرفان الإسلامي*

(٢)

الشيخ محمدتقي مصباح اليزدي

مرّ بنا في القسم الأول أن للإنسان حاجاتٍ ورغباتٍ وميولاً يحاول إشباعها، كالحاجة إلى الطعام والرغبة في النكاح والميل إلى الاجتماع، وحب إبراز الشخصية، وما إلى ذلك من الغرائز الفطرية.

وثمّة رغبات أخرى كامنة في أعماق الروح الإنسانية تظهر عند بعض بشكل تلقائي، وعند آخرين بالسعي والجهد الحثيث.

وتمثّل هذه الرغبات أشرف وأنقى الميول المودعة في الإنسان؛ لأنها تقوده نحو الكمال المنشود، ونطلق على هذا الميل: التوجّه *العرفاني* أو بتعبير آخر: *الحس الديني*.

تبلور التوجّه العرفاني وظهوره لدى الإنسان

من المناسب أن نشير هنا إلى كيفية تبلور التوجّه العرفاني وتاريخ ظهوره في الإنسان، والسبل التي سلكها لإشباعه. فقد قيل: إن للعرفان ـ أي البحث عن الله وعبادته وحبّه ـ جذوراً فطرية. ومعلوم أن الأمور الفطرية تظهر لدى جميع أفراد الإنسان في كل الأزمنة والعصور بلا استثناء، وليس فيها أدنى اختلاف؛ قال تعالى: ﴿*فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله*﴾[1].

وعليه فإن الإنسان منذ بداية وجوده على البسيطة حمل هذا التوجّه فطرة، وكان يسعى إليه. ولقد بيّن الله تبارك وتعالى للإنسان منذ البداية طريق التكامل الحقيقي؛ ولهذا كان أوّل من خلق من الإنسان نبيّاً.

ولكنّ الشرائع التي أنزلها الله سبحانه على الأنبياء والرسل من أجل هداية الناس وتكامل البشرية وإرشادها إلى الطرق الصحيحة لإشباع حاجاتها المادية والمعنوية قد امتدت إليها يد التحريف على مر الأزمنة[2].

وإن وجهة النظر الإسلامية ترى أن أول دين اعتنقه الإنسان ومنذ بداية خلقه هو الدين التوحيدي، وأن أبا البشر آدم عليه السلام كان نبيّاً يعتقد بالدين الحق، وقد هدى أولاده

---

* نقله إلى العربية: عباس الأسدي.

وأرشدهم لهذا الدين ليكوّنوا بذلك أول مجتمع بشري موحّد.

ثم جاءت بعد ذلك أديان طالتها يد التزوير والتحريف نتيجة عوامل عديدة، وما أديان الشرك والضلال المنتشرة اليوم في بعض أنحاء العالم إلّا تحريف للأديان التوحيدية السابقة، حتى الدين المسيحي الذي هو أقرب زماناً لدين الإسلام امتدت إليه يد الشرك والضلال.

ولاشك في أن عيسى بن مريم (على نبيّنا وآله وعليه السلام) لم يَدْعُ الناس يوماً إلى عبادته، ولم يدَّعِ يوماً أنه ابن الله، ومع ذلك لم يمرّ وقت طويل حتى خلط أتباعه ظاهرة الشرك مع المسيحية ـ وذلك لدوافع مختلفة ـ فأدخلوا فيها عقيدة التثليث، وقالوا: إن لله ثلاثة عناصر أو ثلاثة أقانيم على حد تعبيرهم (الأب والابن وروح القدس)، أو (الأب والأم والابن) على عقيدة بعض الطوائف، مع أن معظم المسيحيين يؤمنون بالتثليث الأول، فيعتبرون الأب هو الله الذي خلق العالم، والابن السيد المسيح، وروح القدس الواسطة بين الأب والابن. وبدلاً من روح القدس يعبد بعضهم السيدة مريم ويتضرع أمام تماثيلها في الكنائس.

وناقش القرآن الكريم هذه المسألة في عدّة آيات أنكر فيها على النصارى قولهم بالتثليث قائلاً:

▣ ثمّة رغبات كامنة في أعماق الروح الإنسانية تظهر عند بعض بشكل تلقائي، وعند آخرين بالسعي والجهد الحثيث.

▣ تمثّل هذه الرغبات أشرف وأنقى الميول المودعة في الإنسان؛ لأنها تقوده نحو الكمال المنشود، ونطلق على هذا الميل: التوجّه العرفاني.

▣ إن للعرفان ـ أي البحث عن الله وعبادته وحبّه ـ جذوراً فطرية.

﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾[٣] و ﴿تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخر الجبال هدّاً* أن دعوا للرحمن ولداً﴾[٤]، ﴿لا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنّما الله إله واحد﴾[٥].

فالتثليث الذي تؤمن به المسيحية هو من وضع كبار رجال هذا الدين.. وأما دوافع هذا العمل فلها حكاية طويلة هي خارج نطاق بحثنا. وغايتنا هنا هي تأكيد حصول تحريف واسع في دين توحيدي وفي عصر قريب من العصر الإسلامي. فلقد كانت المسيحية ديناً توحيدياً، غير أن أصابع التحريف البشري عاثت به فساداً لتجعله دين شرك، شأنه شأن الأديان التي سبقته.

فالأديان التي جاء بها الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) كانت أدياناً توحيدية؛ لأنه لا يوجد في العالم دين غير توحيدي، وأما الشرك فهو من بدع الإنسان.. إذن كان الدين الذي نزل من السماء توحيدياً وكان الناس موحّدين، ولكن الشرك داخلهم بسبب حبّ الجاه والأهواء النفسية.

ولقد كان بعث الأنبياء لهداية الناس وإرشادهم وتوجيه نزعاتهم الفطرية التي أودعت فيهم إلى الصراط المستقيم.

ولما كان العرفان ـ كما مرّ معنا ـ هو تلك التوجّهات الفطرية الطاهرة الكامنة في أعماق الإنسان والتي تدعوه لسلوك الطريق الموصل لكماله المنشود؛ فإن الأنبياء الكرام عليهم السلام قد جاءوا ـ بضمن ما جاءوا به ـ بالعرفان الذي فيه إشباع الحسّ الديني وتلبية نداءات الفطرة الصادقة.

وهو ـ أي العرفان ـ في الحقيقة يمثّل روح الدين وجوهره؛ حيث إن الدين كونه مجموعة من الأحكام والعقائد والأخلاق هو بمنزلة الجسد الذي تعرج روحه إلى الله تعالى. ومن الواضح أن كرامة البدن من كرامة الروح، والغاية هي تكامل الروح، وليس الجسم إلّا وسيلة لهذا التكامل والسموّ؛ ولذلك كان الهدف الأصلي لجميع الأنبياء التركيز على تقريب الإنسان إلى ربه وربطه به، وإرشاده إلى طريق التكامل المعنوي والعرفاني. وهو طريق رباني مهيع أوضحه الله تعالى لعباده عبر الأنبياء.

ومثلما حُرّفت الأحكام والعقائد والأديان المختلفة فإن الروح العرفانية ـ ومع الأسف ـ هي الأخرى كانت عرضة للتحريف في بُعدها النظري والعقائدي، وفي بُعدها العملي والسلوكي.

ويشير تاريخ الأديان إلى وجود عناصر عرفانية في الأديان القديمة المعروفة؛ فهناك نمط من الاتجاه العرفاني في الأديان الهندية من البوذية والهندوسية، ومذاهب اليوغا.

ويصدق ذلك على الدين اليهودي أيضاً وإن كان اليهود هم الأكثر تعلّقاً بالماديات من بين أتباع الأديان الأخرى، إلى درجة اختلطت

عقائدهم بالمفاهيم المادية والجسمية، حتى أن توراتهم المحرّفة جسّمت الله عز وجل، كما أن أفكارهم تنطلق من دوافع مادية بحتة. ومع أن علاقتهم المفرطة بالمال والثروة والدنيا قل نظيرها بين الأقوام الأخرى؛ إلا أن بعض أحبارهم سلك مسلكاً عرفانياً، بل أصبح بعض منهم من كبار العرفاء، ومنهم من عاصر السيّد المسيح.

ووجدت بين المسيحيين طوائف كثيرة ذات اتجاهات عرفانية مازال بعضها موجوداً إلى يومنا هذا.

وعليه فقد وجدت الاتجاهات العرفانية في جميع الأديان المعروفة، سواء الإبراهيمية أو تلك التي تدعو إلى عبادة الأوثان. مثل الهندوسية والبوذية. وكان كبار رجالها يمارسون أنواع الرياضات بغية الوصول إلى الكمال الروحي والمعنوي والعرفاني. كما أن الطقوس السائدة اليوم بين الهنود والصينيين ـ وغيرهم من الأقوام كالتي تتعبّد بالبوذية وغيرها ـ تنطلق من مشارب عرفانية.

وفي هذا دليل على أن الميل إلى العرفان بمعناه العام ميل فطري وُجد بين البشر منذ القدم، وقد شرّع الدين سبلاً لتلبية نداءات هذه الغريزة الفطرية السامية، إذ يمكن القول: إن العرفان هو حقيقة الأديان وروحها، وتمثّل سائر القضايا الأخرى أعضاءها.

▣ العرفان هو تلك التوجّهات الفطرية الطاهرة الكامنة في أعماق الإنسان والتي تدعوه لسلوك الطريق الموصل لكماله المنشود.

▣ العرفان في الحقيقة يمثّل روح الدين وجوهره؛ حيث إن الدين كونه مجموعة من الأحكام والعقائد والأخلاق هو بمنزلة الجسد الذي تعرج روحه إلى الله تعالى. ومن الواضح أن كرامة البدن من كرامة الروح.

▣ الهدف الأصلي لجميع الأنبياء، التركيز على تقريب الإنسان إلى ربّه وربطه به، وإرشاده إلى طريق التكامل المعنوي والعرفاني.

■ مثلما حُرّفت الأحكام والعقائد والأديان المختلفة فإن الروح العرفانية ـ ومع الأسف ـ هي الأخرى كانت عرضة للتحريف في بُعدها النظري والعقائدي، وفي بُعدها العملي والسلوكي.

■ يشير تاريخ الأديان إلى وجود عناصر عرفانية في الأديان القديمة المعروفة؛ فهناك نمط من الاتجاه العرفاني في الأديان الهندية من البوذية والهندوسية، ومذاهب اليوغا.

الوجه المشترك للاتجاهات العرفانية في الأديان

يمكن أن نتعرّف السبل التي انتهجها الإنسان لإشباع هذه الرغبة عبر دراسة الأساليب التي اتبعها طلّاب العرفان والمعرفة في الأديان المختلفة. والحق أن معظم الذين سلكوا هذا الدرب أجمعوا ـ تقريباً ـ على ضرورة الابتعاد عن الأمور المادية والحيوانية، لكن الاختلاف برز من خلال الطرق التي انتهجت لتحقيق هذه الرغبة. فقد لعبت الأذواق الشخصية دوراً متميزاً في كثير من الحالات، بمعنى أن الشخص كان يسلك الطريق حسب ذوقه ورغبته، وفي حالات أخرى كانت السبل المؤدية صحيحة لكنها أصبحت عرضة للتحريف بمرور الزمن، أي إن الأساس كان سليماً ثم تغيّر تدريجياً إلى شكله المحرّف.

توضيح

تغيّرت كثير من المواضيع الإسلامية عمّا كانت عليه في الأصل، فقد أُقحمت فيها الشوائب والخرافات، وجرى تحويرها عن شكلها الأوّلي، سواء في ما كان مرتبطاً بالعقائد أو بالأحكام أو بالسنن والتقاليد، أو بالشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

وقد تركّز اهتمام الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) على عرض الإسلام

المحمدي الخالص ـ حسب تعبيره (طاب ثراه) ـ دون أية شوائب وإضافات، ومكافحة الخرافات والانحرافات المتفشية بين أوساط كبيرة من العالم الإسلامي.

هذه الانحرافات التي كانت تحصل في الماضي بشكل واسع سببها قلّة وسائل الاتصال بين الناس وصعوبتها، بعكس ما هو عليه الآن من سهولة الاتصال وتبادل الآراء وعرض الأفكار والعقائد؛ فمثلاً كان على الشخص أن يقضي سنين عديدة للانتقال من الصين إلى إسبانيا[٦]، وفي ظروف كهذه كان من الصعب تبادل الآراء ونقل الرسائل والخطابات بصورة سليمة دون أن تمسّها يد التحريف والتزوير.

وحتى في عصرنا الحاضر، ومع انتشار اللغات المختلفة والجهود التي تُبذل لتعلّمها ودراستها، قد نلاحظ وقوع التحريف في الترجمة بسبب عدم الدقّة، فتجد أن الهدف الذي يريده المتحدّث أو الكاتب لا ينقل إلى اللغة الأخرى بصورة صحيحة.

وفي العصور القديمة، وحيث كانت وسائل الاتصال محدودة جداً، كان من الصعوبة بمكان تبادل الآراء والأفكار بين اللغات المختلفة، وهذا بدوره مَثَّل عاملاً مهماً في تحريف الأفكار التي تنقل بين الأمم.

فإذا أريد نقل فكرة معينة من لغة إلى أخرى ومن منطقة إلى ثانية، كان لابد لها أن تمرّ عبر وسائل عديدة تتصرّف بها حسب خلفيتها الفكرية. وحينما تصل، تكون قد أدخلت عليها أمور غريبة. وإذا مضى عليها زمن طويل استلمتها الأجيال اللاحقة بصورة مختلفة تماماً عمّا كانت عليه.

وهذا الأمر كان من الأسباب والعوامل لبعث أنبياء جدد لتصحيح المسارات الفكرية والعملية المنحرفة.

أما في الإسلام، فقد تكفّل الله (تعالى) حفظ القرآن وصونه، وهو مما امتاز به عن بقية الأديان؛ إذ نجد أن سائر الكتب السماوية تعرّضت لمختلف أنواع التحريف، فلا نعلم شيئاً عن كتب نوح وإبراهيم وأصولها، أما التوراة فقد جرى التلاعب في نصوصها بحيث أصبحت تشهد على بطلانها بنفسها. فهي تقول ـ مثلاً ـ إنّ موسى (عليه السلام) قضى في الزمن الفلاني، فهل يُعقل أن يوحي الله تعالى إلى موسى أن يقول للناس بأنه مات في الزمن الفلاني، إضافة إلى الخرافات الأخرى التي يعجّ بها هذا الكتاب والتي جعلته يصل إلى مستوى الابتذال.

ففيه أن الله هبط في إحدى الليالي من السماء واصطرع مع يعقوب وكان يعقوب قوياً فطرحه أرضاً وجلس على صدره حتى الصباح، وكلّما توسّل الرب رفض يعقوب أن يتركه واشترط عليه أن يعطيه البركة، ففعل ذلك فتركه!!

□ الميل إلى العرفان بمعناه العام ميل فطري وُجد بين البشر منذ القدم، وقد شرّع الدين سبلاً لتلبية نداءات هذه الغريزة الفطرية السامية، إذ يمكن القول: إن العرفان هو حقيقة الأديان وروحها، وتمثّل سائر القضايا الأخرى أعضاءها.

أمّا الإنجيل فلابد من القول أنه ليس هناك كتاب بهذا العنوان جاء به عيسى *عليه السلام*، بل توجد أربعة أناجيل تشكّل بمجموعها العهد الجديد (وكانت هناك أناجيل أخرى ألغيت).

وفي هذه الأناجيل تناقضات واضحة وكلّها تتحدّث عن حياة عيسى *عليه السلام* وهي أشبه ما تكون بكتب التاريخ. وليس فيها ما يشير إلى أنه كتاب سماوي أوحي إلى نبيّ.

وفيه أن عيسى دخل المدينة الفلانية وتحدّث مع الناس كذا، وحدّثه الناس بكذا! والمسيحيون أنفسهم لا يدّعون أن الإنجيل كتاب منزل، لأن الأناجيل الأربعة الموجودة هي بأسماء أشخاص ليس أيٌّ منهم عيسى.

إذن؛ كان من اللازم إرسال الأنبياء باستمرار؛ لتصحيح ما حُرِّف وبُدِّل من التعاليم والأحكام وإحياء ما درس من الدين.

أما الإسلام فقد ختم الأديان لأن كتابه السماوي محفوظ ومصان من أي تلاعب وتحريف وعبث، وهذا سبب من أسباب خلود هذا الدين، إضافة إلى الأسباب الأخرى؛ ومنها شمولية القرآن وإشباعه لكل الحاجات الإنسانية مما لسنا بصدد بحثه الآن.

ومهما يكن فإن الميزة الكبرى في الإسلام على غيره من الأديان هي أن القرآن الكريم آخر الكتب السماوية وأكملها ولم تمسه يد التحريف أبداً، وهذا بدوره سبب في كون الإسلام خاتم الأديان، لأن الله تعالى ضمن بقاء هذا الكتاب وحفظه.

دليل الاعتقاد بعدم تحريف القرآن

أفضل دليل يمكن أن نسوقه هنا هو التحدي القرآني وعلى مدى أربعة عشر قرناً بعدم القدرة على الإتيان بمثله (أو بسورة منه). فقد ناصب العداء لهذا الدين منذ البعثة وحتى يومنا هذا كثيرون، ولم يدّخروا جهداً للقضاء عليه وإطفاء جذوته.

واليوم نلاحظ أن القوى الكبرى ورغم الخلافات التي تدبّ بينها إلّا أنها مُجمعة على مواجهة هذا الدين لأنه يمثّل العدوّ الأوّل والأكبر للأباطيل والأهواء الغربية.

وقد تحدّى القرآن الكريم ومنذ نزوله أن يأتي الأعداء بمثله، قال تعالى: ﴿*وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله*﴾(٧).

فإذا جاء كائن من كان بمثل سورة الكوثر أو التوحيد ـ على سبيل المثال ـ بطل هذا التحدي القرآني ـ والعياذ بالله ـ واتّضح أنه ليس من عند الله؛ لقدرة مخلوقه على الإتيان بمثله. فأيهما أيسر أن يُحاربوا الإسلام بمختلف السبل المتبعة حالياً أم أن يتعاضدوا معاً للإتيان بسورة من مثل القرآن ويرفعوا عقيرتهم معلنين أنهم جاءوا بمثله؛ ومن ثم فهو باطل وليس بمعجزة من عند الله؟

نعم، الإتيان بسورة من مثل القرآن هو الطريق الأيسر لضرب الإسلام؛ ولكن يقيناً أن مثل هذا لم ولن يحدث أبداً؛ فـ﴿*إن لم*

▣ كان من اللازم إرسال الأنبياء باستمرار؛ لتصحيح ما حُرِّف وبُدِّل من التعاليم والأحكام وإحياء ما دُرس من الدين. أما الإسلام فقد ختم الأديان لأن كتابه السماوي محفوظ ومصان من أي تلاعب وتحريف وعبث، وهذا سبب من أسباب خلود هذا الدين.

▣ يؤكّد القرآن أن التحريف الذي تعرّضت له الأديان كان تحريفاً متعمّداً قام به علماء تلك الأديان أنفسهم، فغيّروا الكتب السماوية عن بغي وعمد بدوافع الأهواء النفسية.

تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعِدَّت للكافرين ﴾[٨].

وهذا ـ بحدّ ذاته ـ دليل على أن القرآن لم يحرَّف ولم يُبدّل، إذ لم يكن بوسع البشر ـ ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ـ أن يأتوا بآية من مثله. ومعلوم أن القرآن الموجود حالياً لم يُضف إليه شيء، لأنه لو حصل ذلك لكان من الممكن الإتيان بمثل الذي أضيف إليه، وهو ما ثبت عدم إمكانه، وهذا يؤيّد أنه كلّه من عند الله.

ولعل قائل يقول: ربّما لا توجد في القرآن زيادة، ولكن فيه نقصان!

فنردّ بالقول: مادمنا علمنا أن ما في القرآن هو من عند الله الذي تكفّل حفظه، بقوله: ﴿*إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون* ﴾[٩]. فهذه الآية ـ إذن ـ هي من عند الله. ﴿*ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً* ﴾[١٠].

والكتاب ـ حسب هذه الآية ـ هو كتاب الله، وهذا دليل على عدم تحريف القرآن. ولمن أراد المزيد فليراجع الموضوع في كتاب «آموزش عقائد» [تعليم العقائد].

ومهما يكن فإن ما يمتاز به الإسلام عن غيره من الأديان هو مصونيّة كتابه السماوي من التحريف والتغيير والتبديل، ففي متناولنا الكتاب الذي نزل من عند الله، إلّا أن القرآن الذي فيه تبيان كلّ شيء لم يبيّن كل المسائل بصورة مباشرة بحيث يمكن أن نستفيد من علومه ومعارفه بالطرق العادية.

مثال ذلك؛ أن القرآن أمر بالصلاة دون أن يذكر كيفيتها وعدد ركعاتها، وأمر بالحج والطواف دون أن يحدّد عدد الأشواط وشروطها. وبشكل عام فإنه لم يبيّن تفاصيل الأحكام في المجالات الاجتماعية أو الفردية، إلّا في بعض الحالات التي تنطوي على حكمة معينة.

فالقرآن ابتعد عن ذكر التفاصيل، وإلّا لتجاوز حجمه الحالي أضعافاً مضاعفة وأصبح موسوعة من مئات المجلّدات يتعذّر على الناس تداوله بسهولة. وقد قضت الإرادة الإلهية أن يكون القرآن الكريم بهذا الشكل الذي يمكن للناس أن يتدبّروه لينتفعوا منه. وإذا كان بالصورة التي ذكرنا من التفصيل والتطويل لانحصر مكانه في بعض المكتبات العالمية، ولتعذّر على كل الناس مراجعته.

ويؤكد القرآن أن التحريف الذي تعرّضت له الأديان كان تحريفاً متعمّداً قام به علماء تلك الأديان أنفسهم، فغيّروا الكتب السماوية عن بغي وعمد بدوافع الأهواء النفسية ﴿*وما اختلف فيه إلّا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم..* ﴾[١١]، ﴿*فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله* ﴾[١٢].

فلقد كان علماء اليهود والنصارى يكتبون الكتاب ويزعمون أنه من عند الله، والمسيحية

تعترف في وقتنا الحاضر بأن كتبها من تأليف عـلمائها. وعـليه؛ ليس مـن المسـتبعد أن تحرَّف الحقائق التي يأتي بها الأنبياء على مرّ التاريخ، سواء كان عن عمد ـ كما هـو حـال التحريف الذي جرى على الأديان السماوية السابقة ـ أو عن سهو، كأن تـتعرّض بـعض النسـخ إلى التـلف أو يـتغيّر مـضمونها بـعد الترجمة.

ومن غـير المسـتبعد أيـضاً أن تـطال يـد التحريف حتى الطـريق الذي بـيّنه الأنـبياء للبشرية لكي تسلك سبيلها إلى الله.

وبـالنسبة للـعرفان، إذا مـا درسـنا تـلك الطوائف التي تدّعي أنها من أهله، للاحـظنا وجود مذاهب متعدّدة تتبع تـعاليم مـختلفة، وإذا تقدّمنا قـليلاً لنسأل عـن مـصدر هـذه التعاليم رغم مرور قرون على ظهورها؟ لقيل لنا: إن المصدر هو الشيخ أو القطب أو المرشد الفلاني. وإذا سألنا عن مدى اعـتبار تـعاليم الشـخص الفـلاني لدى الآخـرين، لجـاء الجـواب: إنـه تـوصّل إلى ذلك فـي عـالم الكشف، وهذا بدوره يحتاج إلى المزيد مـن البـحث عـن *الكشف* ومـدى اعـتباره لدى الآخرين.

على أية حال، فإن هذه الطرق التي تُعرض للسير والسلوك، إنّما تنبع فـي الحـقيقة مـن الأذواق والقناعات الشخصية، إذ يرى فـلان من الناس أن العمل بهذه الطريقة هو الأفضل والأسرع للوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية، أو أنه جرّبها بنفسه وجعلها جزءاً من تعاليمه ثـم أصـبحت تـدريجياً مـذهباً خـاصاً، له أتباعه.

إذن، فالاختلافات الموجودة فـي تـعاليم الفرق والمذاهب المختلفة نابعة من اختلاف الأذواق الشخصية، فـذا يـرى العـمل بـهذا الأسلوب، وذاك يختار منهجاً آخر، ويتذرّع كل منهم بأن ذلك ألهم بـه أو رآه فـي عـالم المكاشفة أو أي تعبير آخـر مـماثل لإقـناع الآخرين بما جاء به.

وشاعت مثل هذه الاختلافات في الأزمنة الماضية ومنذ آلاف السنين بـين الطـوائـف المختلفة ذات النزعة العرفانية؛ فـهناك مـن كـان يأتـي بـطريقة جـديدة حسب ذوقـه، فتقبلها مجموعة من الناس بحسن نية لتنتقل تدريجياً إلى الآخرين وتـدوّن لتـصبح ديـناً يعتنق كما هو الحال مع الديانة البوذية.

ولليوغا اليوم أنـصار كـثيرون حـتى فـي الدول الأوروبية والأميركية، كـما أن هـناك أنصاراً للديانة البوذية وأمثالها من الديـانات الأخرى. ويمتلك زعماؤها مـراكـز عـظيمة وكل وسائل البذخ والترف، ويشكّلون نوعاً من التنظيم الذي يطرحـون عـبره تـعاليمهم وأفكارهم إلى أولئك الذين يبحثون عن ملاذ بسبب الضغوط النفسية ومـعاناتها النـاجمة عن المادية؛ علّهم يحصلون على شـيء مـن

الاستقرار والطمأنينة والراحة النفسية.

ومن تلك التعاليم الجلوس في معزل عن الناس وفي الظلمة، أو تكرار عدد من العبارات بصوتٍ عال، أو حبس الأنفاس في الصدور للحظات، أو القيام ببعض الحركات، وما إلى ذلك...

وهذه التعاليم تعمل على إيجاد نوع من التمركز والاستقرار، ولهذا يعتقد من يمارسها أن روحه لا تطمئن وتستريح إلّا ببركة أنفاس الشيخ الكبير!

-يتبع-

الهوامش

(١) الروم: ٣٠.

(٢) ثمة خلاف بين علماء الاجتماع حول هذه المسألة، وهل أول دين اعتنقته البشرية كان توحيدياً، ثم ظهرت تدريجياً أديان الشرك؛ أم كان دين شرك ثم تدرّجت أديان الشرك إلى التوحيد؟
يعتقد أصحاب الرأي الثاني أن الإنسان كان مشركاً في البداية، وقد جاءت الطوائف المختلفة بأنواع الشرك إلى مجتمعاتها، حسب تنوّع العوامل الاجتماعية، فكانت كل قبيلة مثلاً تصنع تمثالاً لكبيرها إذا فارق الحياة، وتقدّس هذا التمثال حتى يتحوّل إلى إله يُعبد، فانتشرت الأصنام المختلفة والآلهة المبتدعة بين القبائل والطوائف، فولد بهذه الصورة عالم الشرك. وهذه النظرية مرفوضة إسلامياً.

(٣) الكهف: ٥.

(٤) مريم: ٩٠ ـ ٩١.

(٥) النساء: ١٧١.

(٦) نشير هنا إلى أن إسبانيا كانت تُعتبر أقصى الغرب على الأرض قبل أن تكتشف أميركا.

(٧) البقرة: ٢٣.

(٨) البقرة: ٢٤.

(٩) الحجر: ٩.

(١٠) النساء: ٨٢.

(١١) البقرة: ٢١٣.

(١٢) البقرة: ٧٩.